بحث منشور في كتاب دراسات أندلسية بأقلام عراقية ج١ ، دار تموز ، دمشق ، ٢٠٢٠

حياة الموريسيكيين الدينية من خلال مخطوطات الألخميادو ووثائق محاكم التفتيش الأسبانية

أعداد أ.م.د قاسم عبد سعدون الحسيني
جامعة ميسان / كلية التربية – قسم التاريخ

الملخص

تعتمد الدراسات المورسيكية على نوعين من المصادر المهمة التي تتيح للباحث الكشف عن حياة الموريسيكيين الدينية والسياسية ، وهذهِ المصادر تتمثل بمخطوطات مورسيكية – إسلامية- وأخرى وثائق منتمية إلى الدولة أو إلى الكنيسة النصرانية محفوظة في الخزانة المورسيكية يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، ونظراً لتضييق سلطات محاكم التفتيش الأسبانية على الموريسيكيين ، ومنعهم من الاحتفاظ بكل ما يتصل بتراثهم الفكري والديني ، لجأ المورسيكيون إلى لغة الألخميادو كوسيلة للحفاظ على هويتهم الدينية ، واثبات وجودهم في المجتمع النصراني فعملوا على كتابة القرآن بهذهِ اللغة ، واستعملوها فيما بينهم وسجلوا أبسط أمورهم الشخصية ولا سيما الدينية منها ، أما الوثائق النصرانية فإنها وثائق كنسية تخص مؤسسة محاكم التفتيش الأسبانية، كانت وما زالت مصدراً مهماً في دراسة تاريخ الموريسيكيين الديني والسياسي ، علماً بأنَّ دراسة الحياة الدينية للمورسيكيين والبحث في غمار هذا الموضوع والكشف عن نقابهِ ما يزال محتشماً في العالمين العربي والإسلامي ، خلافاً للباحثين الأسبان الذين ابدوا اهتماماً كبيراً في هذا الجانب معتمدين على مخطوطات الألخميادو ووثائق محاكم التفتيش الأسبانية ، ولتعذر الوصول إلى هذهِ المصادر ، والتعرف عليها من قبلنا بشكل مباشر فأننا سنعتمد في دراستنا على مراجع ومؤلفات اسبانية مترجمة اعتمدت هذهِ المصادر[١] ، وكشفت لنا معلومات كبيرة تخص حياة الموريسيكيين. وقد انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة . وخُصص المبحث الأول للتعرف على أحوال الموريسيكيين في ظل الملكين الكاثوليكيين (فرناندو الخامس وزوجته إيزابيلا) ، وكيف لجأ الموريسيكيين إلى مبدأ التقية في تطبيق شعائر الدين الإسلامي ، أما المبحث الثاني فقد سُلط فيهِ الضوء على تطبيق الموريسيكيين لأركان الإسلام الخمسة ، أما الخاتمة فقد تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

[١] ظهرت دراسات ومؤلفات اسبانية وفرنسية عديدة اعتُمد فيها على مخطوطات الألخميادو ووثائق محاكم التفتيش الاسبانية ومنها : مؤلفات غرسية أرينال ، ومؤلفات لوي كارديك ، ومؤلفات دي أيبالزا ، ومؤلفات فرانتيسكو ماركيت بيانوبيا ، ومؤلفات مارمول كاربخال ، ومؤلفات بدرو لونغاس، وغيرهم وقد تُرجمت هذهِ المؤلفات إلى اللغة العربية وعُدت مراجع مهمة يعتمد عليها الباحث العربي والإسلامي في كتابة تاريخ الموريسيكيين الديني والسياسي .

بحث منشور في كتاب دراسات أندلسية بأقلام عراقية ج١ ، دار تموز ، دمشق ، ٢٠٢٠

المقدمة

قبل الخوض في غمار هذا الموضوع ، والكشف عن ثناياه علينا أنّ نقر بانَّ البحث التاريخي في هذا المجال انطلاقاً من مخطوطات ووثائق أرشيفية إسبانية أو عربية ما زال محتشماً جداً في العالمين العربي والإسلامي خلافاً للباحثين الغربيين الذين ابدوا اهتماماً بتركيزهم على مخطوطات الألخميادو[١] ووثائق محاكم التفتيش الإسبانية[٢] ، إذ أنَّ هذين المصدرين يُعدان مرتكزين رئيسيين في كتابة تاريخ الموريسيكيين الديني والسياسي . ومما لا شكَ فيهِ أن تاريخ الموريسيكيين حظيَّ في الآونة الأخيرة باهتمام الباحثين والمؤرخين الغرب ولا سيما المختصين بدراسة القضية المورسيكية ، وقاموا بإعداد دراسات مهمة حول تاريخ الموريسيكيين معتمدين على مخطوطات الألخميادو ووثائق محاكم التفتيش الأسبانية ، وكشفوا النقاب عن حياة الموريسيكيين الدينية والسياسية ، والأمر الذي أتاح لهؤلاء المؤرخين هو امتلاكهم أدوات البحث التاريخي المتمثلة باللغة الاسبانية و الفرنسية ، والتسهيلات الكبرى التي تقدمها حكوماتهم في الحصول على المعلومة التاريخية والسماح لهم في الاطلاع على الأرشيفات المورسيكية ، وقد أصبحت مؤلفاتهم مصدراً مهماً في الحصول على معلومات مهمة حول تاريخ الموريسيكيين الديني والسياسي ، وازدادت أهمية هذهِ المؤلفات في العالم العربي والإسلامي، ولا سيما بعد أن تُرجمت هذهِ المؤلفات إلى اللغة العربية ، ولتعذر الوصول إلى هذهِ الوثائق فقد اعتمدت الدراسة على مؤلفات أسبانية وفرنسية اتخذت من هذهِ الوثائق مصدراً مهماً في إعداد هذهِ الدراسات ، وقد نالت هذهِ الدراسات شهرة واسعة في مجال البحث التاريخي فيما يخص القضية المورسيكية. والسؤال المهم لماذا لجأ الموريسيكيين إلى تدوين

---

[١] الالخيميادو : هي تحريف اسباني لكلمة الأعجمية ، وهي اللغة التي ابتدعها المورسيكيون من اجل الحفاظ على نسخ القرآن الكريم وتراثهم الإسلامي ، وللمزيد من المعلومات ينظر : عنان ، نهاية الأندلس ، ص٤٧٤ ؛ سراج الدين ، التراث الموريسكي ، ص١٧ ومابعدها .

[٢] محاكم التفتيش الأسبانية : كان إنشاء هذه المحاكم كان جزءاً من الحركة الإصلاحية التي قادها البابا كريكوري التاسع *Gregory xi* (١١٤٨م _ ١٢٤١ م) ، إذ أمر هذا البابا خادمته الملكة إيزابيلا بتأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرته ، ولكن تعصب هذه الملكة وكرهها للدين الإسلامي قد دفعها إلى رفض هذا الأمر،لأنها كانت تريد تأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرتها لا بإمرة البابا ، لذلك لم يجد البابا سيكستوس الرابع *Sixtus IV* (١٤٧١م _١٤٨٧ م) ، مفراً من الموافقة على طلب الملكة إيزابيلا بإقامة محكمة تفتيش قشتالية في شهر ذي الحجة عام ٨٨٣ هـ الموافق تشرين الثاني / ١٤٧٨م ، وبتشكيل هذه المحكمة على ارض قشتالة بدأت معاناة الموريسكيين على يد عمال هذه المحاكم . ينظر : رائف ، وتذكروا من الأندلس ، ص٢٥٤ .

تاريخهم بلغة الألخميادو ، وهل هذهِ اللغة تعود لهم أم إلى المسلمين الذين كانوا يعيشون في المجتمع النصراني قبل سقوط غرناطة[١] سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ؟

يختلف الباحث مع ما يطرحهُ المستشرق الأسباني دي إيبالز *De Epalaza* ، الذي يشكك في نشأت لغة الألخميادو وآدابها للمورسيكيين ، ويؤكد أنَّها لغة المسلمين(المدجنين)[٢]، الذين كانوا يعيشون في المجتمع النصراني قبل سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م[٣]، وللرد على ذلك نقول أنَّ المسلمين المدجنين الذين عاشوا في كنف المجتمع النصراني لم تدفعهم الحاجة ، أو سياسة اسبانيا النصرانية لاكتشاف هذه اللغة بل ظلوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم بحرية تامة ، وليس هناك ما يدفعهم للجوء إلى هذا النوع من الكتابة ، لذا إننا نعتقد أنَّ لغة الألخميادو وآدابها تعود للمورسيكيين المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م بيد الأسبان ، ومن خلال المخطوطات المورسيكية التي كُتبت بهذهِ اللغة يمكننا أنَّ نلقي الضوء على تاريخ العقيدة والممارسات الإسلامية طيلة حقبة التعايش والصراع الدائر بينهم وبين النصارى الأسبان . معتمدين على هذهِ اللغة كونها المدافع الوحيد عن التراث ، والثراء الفكري الإسلامي والعربي باعتباره رمزاً للمحافظة على الهوية الدينية المهددة بالزوال من طرف سلطة محـاكم التفتيش الإسبانية . ولضرورة تقتضيها طبيعة الموضوع ، انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة . وخُصص المبحث الأول للتعرف على أحوال الموريسيكيين في ظل الملكين الكاثـوليكيين (فرناندو الخامس وزوجته إيزابيلا) ، وكيف لجأ الموريسيكيين إلى مبدأ التقية في تطبيق شعائر الدين الإسلامي ، أما المبحث الثاني فقد سُلط فيهِ الضوء على تطبيق الموريسيكيين لأركان الإسلام الخمسة ، أما الخاتمة فقد تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

---

[١] غرناطة : غرناطة : مدينة بالأندلس بينها وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة ... ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٣٧١-٣٧٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥ .

[٢] المدجنين : مصطلح أطلق على المسلمين الذين كانوا يعيشون تحت حكم النصارى الأسبان الذين فتحوا واستردوا الكثير من الأراضي والمدن الأندلسية ، وسائر القواعد الإسلامية ، وقد شاع استخدام هذا المصطلح منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، وكان تسامح الأسبان في اول المر مع المدجنين أمر معترف بهِ حيث كانوا يتمتعون بكل حقوقهم الشرعية المدنية والدينية ، وذلك ليخففوا عنهم وطأة إذلالهم وهزيمتهم وانسلاخهم عن مجتمعهم القديم وانتمائهم إلى المجتمع المسيحي ، وتمتعوا أيضا بامتيازات كثيرة . ينظر : عبد الكريم ، الموريسيكون تاريخهم وأدبهم ، ص٦ .

[٣] بن جميع ، الخط العربي ، ص٢٥-٢٩ .

المبحث الأول

أحوال الموريسيكيين في ظل الملكين الكاثوليكيين (فرناندو الخامس وزوجته إيزابيلا)

لبثت السياسة الاسبانية بعد سقوط غرناطة، بيد الأسبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، وبعد أنّ حقق الأسبان أعظم أمانيهم القومية بإنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس ، كرست السلطات الأسبانية جهودها كافة لتحقيق مشروعها السياسي المتمثل بالقضاء على الإسلام في اسبانيا النصرانية ، ولأجل ذلك عملت الحكومات الإسبانية القيام بحملات تبشيرية لتنصير المسلمين المقيمين في اسبانيا ، الأمر الذي لم يتم التطرق لهُ في معاهدة تسليم غرناطة[١] ، وأهملهُ المفاوض الأسباني ظناً منهُ أنَّ الزمن كفيل بأنّ يفرض على المسلمين الخاضعين للحكم الأسباني أسوأ من الوضع الذي أعُترف لهم بهِ في معاهدة التسليم، وقد سعت السياسة الاسبانية أنّ تسبغ محاولاتها لتنصير المسلمين والأمل في تعايشهم مع النصارى الأسبان ، والانسجام معهم واعتناق الديانة النصرانية بشكل طوعي، فأخذت في تحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة التسليم وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم، ثم العمل على خرقها نصاً فنصاً[٢]، إذ كانت السلطات الأسبانية حريصة على أنّ تكون اسبانيا دولة كاثوليكية المذهب لا تتسع لأصحاب الديانات الأخرى ، بل لا تتسع للمسيحيين من أصحاب المذاهب الأخرى [٣]، ولأجل ذلك بدأت المحاولات بتنصير من تبقى من المسلمين بوسائل أتخذها كل من : طلبيرة *Talavera* ، والكاردينال فرانسيسكو سينيروس المعروف باسم زمنيز *Francisco Ximenes*[٤] .

فشلت مساعي طلبيرة *Talavera* في تحقيق هدف التنصير، لأنهُ أتبع سياسة التسامح والإقناع وعدم المواجهة والصدام مع المسلمين ، إذ لم يكن هناك ما يلوح في الأفق في تحول المسلمين إلى نصارى أو رعايا يشهدون القداس الأمر الذي أغضب الملكين الكاثوليكيين (فرناندو الخامس وزوجته إيزابيلا) ، وبحثا عن بديل لطلبيرة *Talavera* ، ولم يجدا أفضل من الكاردينال زمنيز *Francisco Ximenes* لهذهِ

---

[١] للمزيد من المعلومات ومعرفة شروط هذهِ المعاهدة ينظر : مجهول ، نبذة العصر ، ص٥٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤/٥٢٥-٥٢٦ ؛ عنان ، نهاية الإسلام ، ص٢٢٩-٢٣٠ ؛ حتاملة ، الأندلس التاريخ والحضارة ، ص٦٢٥ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٦٥-٦٧ .

[٢] مجهول ، نبذة العصر ، ص٥٤ ؛ لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٦ ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٩٨ .

[٣] براتشينا ، الموريسكيون الاسبان ١/١٥ .

[٤] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٧٢ ؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص١١٠ .

المهمة ، فأصدرت الملكة إيزابيلا مرسوماً بتعيينهِ رئيساً لأساقفة طليطلة[١] سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، وبتعيينهِ ستنتهي الحرية الدينية التي كان يتمتع بها المسلمون في أسبانيا بعد أنّ طرح زمنيز *Francisco Ximenes* برنامج التنصير وخطواتهِ على الملكيين الكاثوليكيين إذ هددَ فيهِ المسلمون بين التنصير أو الرحيل عن ارض اسبانيا[٢].

بدأ الكاردينال زمنيز *Francisco Ximenes* بتنفيذ مشروع التنصير متبعاً سياسة تعسفية ضد فقهاء غرناطة هادفاً إلى تنصيرهم ، لذلك قام بجمع ثلاثة آلاف أندلسي في كنيسة وأخذ يرشيهم ويغريهم تارة ، ويرهبهم أخرى فتصدى له الفقهاء وسفهوا منهُ ، ومنذ ذلك الوقت حقد زمنيز على فقهاء غرناطة ، واتبع معهم سياسة التنكيل والوعيد والعقوبة لمن يرفض التنصير وزجهِ في السجن [٣] ، فارتدَ بعضهم وقبل التنصير وتبعهم بعض العامة ، مؤكداً أنَّ كل من أرتدَ عن النصرانية يُعامل هو وأبناؤه وأحفادهِ وسلالتهِ معاملة المرتدين فأحتج المسلمون الذين ينحدرون من أصول نصرانية ، بذريعة أنَّ معاهدة تسليم غرناطة صريحة نحوهم ، وإنهم مسلمون لا فرق بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، وبدأت السلطات الأسبانية بملاحقة العائلات المسلمة التي تنحدر من أصول نصرانية وزجوا بهم في السجون رجالاً ونساءً وأطفالاً [٤] .

شددت السلطات الأسبانية الضغط على مسلمي الأندلس ، وأخذ الاعتقال والتعذيب يطأ الجميع كخطوة لإجبارهم لترك الدين الإسلامي واعتناق النصرانية ، فتدهورت أحوال المسلمين ، وأصبح الوضع العام ينذر بالخطر وبات يلوح في الأفق إعلان ثورة ضد السلطات الأسبانية ، فاندلعت الثورة الأندلسية الأولى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[٥] ، كان من نتائجها أنّ فشلت هذهِ الثورة وقمعت بشدة من قبل السلطات الأسبانية ، وأصدرت الملكة إيزابيلا مرسوم التنصير

---

[١] طليطلة : مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٩٣ .

[٢] براتشينا ، الموريسكوس الاسبان ، ص١١٦ ؛ ندا ، فصول من تاريخ الحضارة ، ص٢٤٨ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٧٢ .

[٣] كحيلة ، العقد الثمين ، ص٣٧٢ .

[٤] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٧٢-٧٣ ؛ كحيلة ، العقد الثمين ، ص٣٧٢ .

[٥] بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص١١٣ومابعدها .

الشهير سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م الذي خُير فيهِ المسلمون بين اعتناق النصرانية أو الرحيل عن أرض اسبانيا[١] ، لذا لم يكن أمام البعض خياراً سوى التظاهر باعتناق الديانة النصرانية ولو بالظاهر ، وممارسة العادات والتقاليد والشعائر الإسلامية سراً[٢] ، ومنذُ تلك اللحظة أطلق على هؤلاء المسلمين مصطلح الموريسكيون أي النصارى الجدد[٣] ، علماً إنَّ كلمة مورو كلمة تصغير تستخدم للتحقير[٤]، وعلى الرغم من تظاهرهم بالنصرانية إلا أنَّ السلطات الأسبانية شرعت باضطهادهم والتنكيل بهم عن طريق محاكم التفتيش الأسبانية ، وقد عُثر في أحدى هذهِ المحاكم على وثيقة تعُد من أغرب الوثائق ، إذ تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأت تلك المحاكم أنّ يأخذ بها الموريسيكيين في تهمة الكفر والمروق والتطاول على الديانة النصرانية[٥] ، وقد جاء في هذهِ الوثيقة : ((**يعتبر المورسيكي أو العربي المتنصر قد عاد إلى الإسلام ، إذ امتدح دين مُحَمَّد ، أو قال إنَّ يسوع المسيح إلهاً ، وليس إلا رسولاً ، أو أنَّ صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه ، ويجب على كل نصراني أنّ يبلغ عن ذلك ، ويجب عليهِ أيضاً أنّ يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع ، بأنَّ أحداً من الموريسيكيين يباشر بعض العادات الإسلامية ، ومنها أنّ يأكل اللحم في يوم الجمعة ، وهو يعتقد أنّ ذلك مباح ، وأنّ يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثياباً أنظف من ثيابهِ العادية ، أو يستقبل المشرق قائلاً بسم الله ، أو يوثق رجل الماشية قبل ذبحها ، أو يرفض تلك التي لم تذبح ، أو ذبحتها امرأة ، أو يختن أولادهِ ، أو يسميهم بأسماء عربية ، أو يعرب عن رغبتهِ في إتباع هذهِ العادة ، أو يقول إنَّهُ يجب إلا يعتقد إلا في الله وفي رسولهِ مُحَمَّد ، أو يقسم بأيمان القرآن ، أو يتناول الطعام قبل الفجر (السحور) ، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، أو يقوم بالوضوء والصلاة ، بأنّ يوجه وجهه نحو الشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن ، أو أنّ يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية ، أو ينشد الأغاني العربية ، أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية ، أو أنّ يستعمل النساء الخضاب في أيديهنَّ أو شعورهنَّ ، أو يتبع قواعد مُحَمَّد**

---

[١] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٤٣ ؛ طه ، حركة المقاومة العربية ، ص٣٥ .

[٢] السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٣٠٧ .

[٣] حول مفهوم مصطلح الموريسكيين ينظر : كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص١٥٠ ؛ قشتيليو ، الموريسكيون ، ص١٩ ؛ الحايك ، الدراسات الموريسكية ، ص ٢٥ ؛ الشمري والمعموري ، الموريسيكيون في بلنسية ، ص١٧٦ .

[٤] الكتاني، انبعاث الإسلام ، ص٧٨؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ،ص١٦ ؛ عبد الكريم ، الموريسكيون،ص٦-٨ .

[٥] هلايلي ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص١٥-١٧ ؛ الميلق ، تأثير ثورات الموريسكيين ، ص٥٤-٥٥ .

الخمس ، أو يملس بيديهِ رؤوس أولادهِ أو غيرهم تنفيذاً لهذهِ القواعد ، أو يغسل الموتى ويكفنهم في أثواب جديدة ، أو يدفنهم في أرض بكر ، أو يغطي قبورهم بالأغصان الخضراء أو أنّ يستغيث بمحمد وقت الحاجة منعتاً إياه بالنبي ورسول الله ، أو يقول إنَّ الكعبة أول معابد الله ، أو يقول إنَّهُ لم ينصر إيماناً بالدين المقدس ، أو أنَّ آباءهِ وأجدادهِ قد غنموا رحمة الله لأنهم ماتوا مسلمين))[١]. وطبقاً لهذهِ الوثيقة حددت السلطات الأسبانية كل من يقوم بممارسة هذهِ العادات والتقاليد الإسلامية فأنهُ يكون محاطاً بالشبهات ويُطارد من قبل عمال محاكم التفتيش الأسبانية .

وأمام هذا الوضع يبدو أنَّ على الموريسيكيين التعامل مع خيارات ثلاثة :-

١- اعتناق المسيحية بصدق .

٢- رفض التنصر وتقبل نتائج ذلك الرفض .

٣- قبول التنصر ظاهرياً .

الدفاع عن وحدة العقيدة والهوية الإسلامية .

بعد فشل الثورة الأندلسية الأولى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م ، شرعت السلطات الأسبانية باتخاذ العقوبات الصارمة بحق الموريسيكيين في كافة إنحاء المدن الأسبانية[٢]، لأن أغلب سكان هذهِ المدن رفضوا اعتناق النصرانية وقاوموا محاولات التنصير ، لذلك تم البطش بهم ونفذت بحقهم الجرائم البشعة مثل : سبي النساء وقتل الرجال وتعذيبهم بطرق وحشية على يد موظفي محاكم التفتيش ، ناهيك عن خطف الأطفال ووضعهم في الكنائس لتعليمهم أصول الديانة النصرانية[٣].

لبث المورسيكيون بالرغم من تظاهرهم بالتنصر نزولاً على حكم القوة والإرهاب ، مخلصين في سرائرهم لدينهم الإسلامي إذ لم تستطع الكنيسة بالرغم من جهودها الكبيرة ، أن تحملهم على الولاء للديانة النصرانية ، ولا سيما أنَّهم قاسوا في سبيل اعتناقه ضروباً مروعة من الآلام النفسية والاضطهاد

---

[١] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٨-٣٢٩ .

[٢] العبادي ، المجمل في تاريخ الأندلس ، ص١٨٣ .

[٣] حمودة ، تاريخ الأندلس السياسي ، ص٣٠٢-٣٠٣ .

المضني لذا لجأ ، الموريسيكيين للتظاهر بتطبيق الشعائر الدينية النصرانية في بلنسية[١] وغرناطة ، خوفاً من قيام السلطات الأسبانية بترحيلهم عن ارض اسبانيا ، بينما فضلَ البعض الاحتفاظ بهويتهِ الإسلامية وقرر الرحيل عن اسبانيا دون اعتناق النصرانية ولو ظاهراً[٢] .

أخذ المورسيكيون بالتردد على الكنائس والأديرة لكي يشاهدهم النصارى الأسبان ويرضوا عنهم بقبولهم النصرانية التي فرضت عليهم قهراً ، لكنهم لم يقبلوها بديلاً عن الإسلام إلا في ظاهر الأمر ، حتى أنهم استمروا في ممارسة شعائرهم وعاداتهم الإسلامية سراً ، فكانوا يؤدون فرائض الإسلام داخل بيوتهم بحذر شديد موهمين النصارى الأسبان بأنهم اعتنقوا النصرانية وأصبحوا وانخرطوا في المجتمع الأسباني[٣]، وقد اتخذت الشعائر والتقاليد الإسلامية الصفة السرية وأصبحت تعاليم الإسلام وممارساتهِ تقاليد موروثة يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلاً بعد جيل في حلقات مغلقة ، أشبه بالمجالس السرية[٤] ، ناهيك عن الدور الذي بذلتهُ المرأة المورسيكية في نشر تعاليم الدين الإسلامي لدى أبنائها إذ كانت هذهِ التعاليم تلقن للأطفال عندما كانوا يعودون لأسرهم من الكنائس وتبدأ الأم بتعليمهم أصول الدين الإسلامي ومرتكزاتهِ الضرورية ، إذ يبدأ التعليم في سن الثالثة عشر حتى الخامسة عشر خوفاً من زلة اللسان أو البوح بأمرهم لدى النصارى الذين علموهم النصرانية ووضعوهم عيوناً على آبائهم ، إذ كثيراً ما تسببت سذاجة الأطـــفال وعـــدم كتمانهم السر في اقتياد أهاليهم إلى محاكم التفتيش وتعد حالة إيزابيل باستيدا *Isabel Bastida* ، مميزة جداً إذ استدرجها أحد المحققين وسألها هل تحبين الرب أكثر أم مُحَّد ؟ فأجابت مُحَّد ، لأن جدتها كانت تقول لها ذلك ، ثم أعطاها المحقق قطعة خبز ولحم خنزير لكن الطفلة رفضت أنّ تأكله خوفاً أنّ تضربها جدتها بالسوط ، الأمر الذي تسبب لجدتها أنّ يجلبها عمال محكمة التفتيش[٥] ، ولعلَّ تلك الممارسات كانت سبباً لامتناع العوائل المورسيكية من تعليم أبنائها تعاليم الدين الإسلامي

---

[١] بلنسية : مدينة تقع في شرقي الأندلس ، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً ، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستوٍ من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وقلاع . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٢٧٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٩٧ .

[٢] الونشريسي، المعيار المعرب، ١٢١/٢ومابعدها ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٥-٣٢٧ ؛ رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم ، ص١٤٨-١٥١ .

[٣] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٠٧ ؛ ؛ Bejarno, islámica de los musulmanes, p504 .

[٤] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٥ .

[٥] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٨٤ .

لحين بلوغ سن الرشد ، ويذكر أنَّ بعض أولاد المورسيكيون كانوا يأكلون لحم الخنزير مع رفاقهم النصارى دون علم آبائهم حيث ذكر أرينال[١] أنَّ غلام مورسكي طلب من أحدى الجارات كانت قد أطعمتهُ خبزاً بلحم خنزير أنّ تغسل فمهُ جيداً ، قائلاً : ((لو عِلمت أمي بأنني أكلت لحم خنزير ستجلدني)) . في وقت حرصت فيهِ المرأة المورسيكية على عدم طبخ لحم الخنزير في منزلها وإعداد الطعام بشكل لا يخالف الشريعة الإسلامية[٢] .

فشلت كل المساعي النصرانية في تحويل الموريسيكيين إلى رعايا مخلصين للديانة النصرانية رغم تظاهرهم بالتنصير ، فقد أمتنع المورسيكيون عن أكل لحم الخنزير واعتبروا امتناعهم هذا هوية بالنسبة لهم ودلالة على تمسكهم بالدين الإسلامي الحنيف الذي يحرم أكل لحم الخنزير[٣] ، وكانوا حذرين لدرجة أنّ أحدهم إذا أخطأ ولمس خنزيراً ثيابه فأنهُ لا يضعها على جسدهِ مدى الحياة ، ويذكر أنَّ في أحدى القرى الأسبانية قام عمدة المدينة بدهن أشجار التين بشحم خنزير وأهداها إلى مورسيكي ثري ، فغضب الأخير ولم يكتفِ بعدم جني الثمار بل قطع الثمار وحرقها[٤] ، كذلك رفض الموريسيكيين شرب الخمر فعلى الرغم من ضغوطات محاكم التفتيش عليهم ، إلا إنهم رفضوا شربهِ رغم امتلاكهم مزارع العنب[٥].

كذلك حرص الموريسيكيين على ذبح الأبقار والأغنام على الطريقة الإسلامية إذ كانَ هناك رجلاً خاص يقوم بعملية الذبح ، معربين عن رفضهم أكل الحيوانات الميتة والغريقة ، وكانوا يصفون لحومها بأنها لحوم حرام *Holgaraahan* أي لحوم ملعونة[٦] ، ولتجنب مثل هذه الممارسات أمرت السلطات الأسبانية في سنة ٩١٧هـ/١٥١١م ، بأن يستدعوا قصاباً نصرانياً للذبح ، وشددت في تطبيق هذا القرار ، الأمر الذي أضرَ بالموريسيكيين ضرراً كبيراً ، وعملوا جاهدين على إلغاء هذا القرار بسبب الأضرار التي لحقت بهم وبخاصة عندما لا يوجد نصارى فتفسد اللحوم ، أو يشترط النصارى أجوراً مرتفعة ،وقد

---

[١] محاكم التفتيش ، ص٩٥ .

[٢] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٤-١٧٥ ؛ فارين ، الصيدلية المورسيكية وممارسة الطب ، ص٤٩-٦٠ .

[٣] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٨٦ ، رينارو ، اللغة الأعجمية ، ص٢١ .

[٤] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٣٨ ؛ كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٣١ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٢٥٤ .

[٥] رزوق ، الاندلسيون وهجراتهم ، ص١٠٧ .

[٦] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٣٨؛ الكتاني، انبعاث الإسلام، ص٢٥٠؛ قشتيليو، حياة الموريسكوس، ص١٠ .

بُحثَ هذا الموضوع وسُمح لهم أنّ يقوم أحد الموريسيكيين بهذا العمل عندما لا يوجد نصارى يقومون بهِ ، ولكن بشرط أنّ يُعين من قبل القس[١]، وقد سجلت محاكم التفتيش الأسبانية دعوة قضائية بحق عجوز مورسيكية أكلت ديكاً مذبوحاً على الطريقة الإسلامية ، ورفضت أكل لحم الخنزير[٢] .

كان المورسيكيون دائماً يشعرون بالحرج الشديد من تعاليم الدين النصراني ، فأن ذهبوا إلى القداس أيام الآحاد ، فذلك فقط من باب الحيطة والحذر ودفع ضرر سلطات النصارى وبطشهم ، ولم يقولوا الحقيقة قط خلال التحقيق معهم[٣] ، وكثيراً ما كانوا يتغيبون عن حضور الأعياد المسيحية ولا يشهدون صيام الكنيسة ، متمسكين بتسمية أولادهم وبناتهم أسماء إسلامية مثل : موسى ، علي ، حامد ، هاجر ، فاطمة ، زهرة ، عائشة[٤] .

أما الصلاة النصرانية فأن المورسيكيون كانوا يتظاهرون بأدائها ، فأن فعلوها فإنما يفعلونها بطريقة يظهر فيها غضبهم لا إيمانهم المسيحي الأمر الذي يُعتبر علامة على ممارسة سيئة أو تبعية للدين الإسلامي[٥]، وإذا دخلوا الكنائس فأنهم يمتنعون عن شرب الماء المقدس ، وعند سماعهم الوعظ في الكنائس كان عدم سكوتهم مشيناً ، ويجعلون أطفالهم يبكون لإفساد الجو الإيماني المقدس، فضلاً عن ذكر أسم المسيح المعذب، وحينما كان القديس يرفع القربان كان المورسيكيون يديرون ظهورهم ويقومون بحركات لإفساد لا تناسب قداسة المكان الذي يجلسون فيهِ ، الأمر الذي أغضب القساوسة واخذوا يشتكون من ممارساتهم إثناء إقامة القداس وعلى الخصوص النساء منهم ، إذ كُنَّ يتكلمنَّ بصوت عالٍ ، إضافة إلى تحجبهنَّ بالحجاب الإسلامي ، ناهيك عن رفضهم حمل المسابح أو توقير القديسين ولو الإجبار والخوف لتبين زيف اعتناقهم النصرانية ، الأمر الذي اغضب القساوسة وأوصوا بعلاج هكذا حالات[٦] ، ولعلَّ ذلك يعطينا مؤشراً أن الموريسيكيين كانوا نصارى فقط في ظاهر الأمر ، وظلوا محتفظين محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم وتمسكهم بالدين الإسلامي .

---

[١] هورتز و بنثنت ، الموريسكيون ، ص١١٤ .

[٢] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٧.

[٣] عنان ، نهاية الاندلس ، ص٣٢٥ .

[٤] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٣٨ ؛ دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٢ .

[٥] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٤١ .

[٦] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٣٩ .

ونظراً لما تقدم فقد شعرت السلطات الإسبانية بهذهِ الإجراءات وأرادت معالجتها والقضاء على هكذا مظاهر من شأنها أنّ تقلل مكانة الديانة النصرانية ، لذلك فقد أصدرت السلطات الأسبانية مرسوماً قانونياً أمرَ بموجبهِ بأنّ تسجل كل كنيسة جميع الموريسيكيين المقيمين في دائرتها ، وأنّ تخصص لهم كنيسة أو صومعة أو مستشفى يجب التوجه إليهِ لسماع الوعظ يوم الأحد وفي أيام الأعياد الأخرى ، كما خصص رجل دين متخصص لإلقاء الوعظ ، وتعليمهم عقيدة الديانة النصرانية ، ومن ثم امتحانهم في تعاليم الدين النصراني ، وعلى كل مورسيكي أنّ يساهم بمبلغ من المال كمساهمة في دفع راتب رجل الدين ، كذلك فرضت غرامة قدرها ريال ونصف الريال على من يتغيب عن حضور الوعظ بالإضافة إلى عقوبة أخرى يحددها القس ، أما الأطفال فإنهم لم يغيبوا عن ذاكرة القساوسة ورجال الدين ، فقد خُصص لهم قس يتولى مهمة تعليمهم من سن الخامسة إلى سن الثامنة ، وأنّ تفرض على كل طفل يتغيب عن الحضور غرامة قدرها نصف ريال عن كل يوم[١] .

ولم يكتفِ الموريسيكيين بما تقدم بل رفضوا فكرة الإيمان المقدس ، وأعربوا عن عدم إيمانهم بهِ مؤكدين أنّ هذا الأمر بدعة لا صحة له ، حيث أنَّ الإله المقدس هو في السماء ولا يمكن أنّ ينزل إلى الأرض، وأخذوا يستهزئون بهذه الفكرة ، وقد عُثرَ في سجلات محاكم التفتيش على شكوى مقدمة ضد مورسيكي يدعى خوان لوبو لأنهُ أمر أنّ يعطوا القربان المقدس حماراً نحيلاً ، وأخذ البعض يسخر من الصور التي من أجلها تعرف الديانة المسيحية ، ولأجلّ ذلك فقد تم إيقاف وتعذيب الكثير من الموريسيكيين لأنهم سخروا من العقيدة المسيحية[٢] .

وقد أشارت نصوص الالخيميادو ، وكذلك أرشيفات محاكم التفتيش إلى حرص الموريسيكيين على الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات الدينية ، فالعيد الأول هو عيد الفطر أو العيد الصغير ويسمى (الاغيث اصاغير)[٣] ، إذ يحتفل فيه لإتمام صيام شهر رمضان وتوزع فيهِ زكاة الفطر والصدقات ، أما العيد الثاني فهو عيد الأضحى الذي يسمى (أهيف الكفير) ، أو العيد الكبير[٤]، وهذا العيد يطلق عليهِ أيضاً بعيد الفصح ، أما العيد الثالث فهو عيد عاشوراء ، ويحتفل بهِ بعد أربعين يوماً من الاحتفال

---

[١] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٤٢ .

[٢] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٧ .

[٣] هويدي ، في بلاد الموريسك ، ص٨٤ ؛ الباهلي ، الحياة الاجتماعية، ص٧٤ .

[٤] كارداياك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٣٤ .

بعيد الأضحى ويسمى ب (عيد اللاثورة) ، إذ كان الموريسيكيين يحترمون يوم العاشر من شهر محرم ، وأخيراً وبعد ثلاثة أشهر يأتي العيد الرابع الذي أطلق عليهِ (اثيوسيا) ، ولم يتمكن المؤرخون من معرفة هذا العيد ولا سبب الاحتفال بهِ[١] .

أما الأعياد النصرانية فقد احتفل المورسيكيون بها على طريقتهم الخاصة، إذ كان هناك طريقة للاحتفال بعيد القديس بطرس ، وهو الذي ذكر النبي مُحَمَّد ﷺ ، ليس حباً بهِ بل للتذكير بشهادة سيدنا المسيح عليهِ السلام حينما بشر بولادة النبي المصطفى[٢] .

أما طريقة الزواج فيذكر أنَّ المورسيكيون كانوا يقتنعون بزوجة واحدة وينحرجون من اتخاذ زوجات متعددة ، رافضين الزواج وفق الطريقة النصرانية والتزموا بأنّ يكون زواجهم وفق الطريقة الإسلامية كأداء الصداق ، وأنّ يجهز الآباء بناتهم بأثاث البيت ويعطي إعانة لزوج البنت ليخفف عن أعبائهم المادية ، ودأب المورسيكيون على إقامة حفل الزواج في شهر سبتمبر من كل سنة بعد جمع المحصول الفلاحي ، رافضين في زواجهم تلقي البركة أثناء موكب الزفاف واعتبروه علامة هرطقة وأعلنوا عدم احترامهم للقواعد التي حددتها الكنيسة ولا سيما فيما يتعلق بالزواج من الأقارب[٣].

أما طريقتهم في عقد النكاح فكانت تذهب كل من العروسة والعريس وأولياءهما والشهود إلى الكاتب العمومي لتدوين ما أعطي من صداق في وثيقة رسمية مخصصة يُذكر فيها تفاصيل الزواج من صداق ومعدن الحلي (الذهب والفضة) ، وأصناف الثياب من حيث الشكل واللون والنوع (حرير ، خيط ، صوف ،... الخ) ، وتبعاً لذلك أصدرت السلطات الأسبانية قانوناً منعت فيهِ مزاولة الخياطة على الطريقة المورسيكية ومنع النساء المورسيكيات من الخروج متحجبات[٤] .

وقد أجبرت السلطات الاسبانية العرسان الجدد على ارتداء اللباس النصراني في الكنيسة وبإشراف الرهبان وحال عودتهما إلى بيتهما يزيلان هذهِ الملابس ويلبسان لباساً إسلامياً ويعاد الزواج وفق الطريقة الإسلامية بحضور الإمام أو الفقيه المسلم[٥] .

---

[١] الباهلي ، الحياة الاجتماعية ، ص٧٤ .

[٢] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٤٢ .

[٣] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٣٧ .

[٤] قشتيليو ، حياة الموريسكوس ، ص١١-١٢ .

[٥] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٢٥٢ .

كانت معظم عادات المورسيكيون إسلامية ، ففي اليوم السابع من ولادة الطفل ، تقام له حفلة ويذبحون له العقيقة[١] ، ويغسلونه وتكتب شهادة الإسلام على جبهته ، وتعلق في عنقهِ تمائم مكتوب بها آيات قرآنية ، ويعطى له اسم إسلامي سري ، ويختن في اليوم الثامن[٢] .كذلك رفض المورسيكيون تعميد أطفالهم ، فإذا ما حصلت مناسبة دينية نصرانية وعُمد الأطفال فسرعان ما ترجع العوائل المورسيكية إلى بيوتها وتسارع بغسل رؤوس أطفالهم غسلاً دقيقاً ، وفركهِ بعد ذلك بلباب الخبز كمحاولة منهم محو وإلغاء تأثيرات التعميد ، وهناك عوائل مورسيكية كانت كثيراً ما تتجنب فكرة التعميد مستعملين حيلة وعوضاً عن تقديم مولود العائلة الجديد يعمدون أحد أطفالهم الذي تلقى القربان المقدس من قبل مستمرين في تلقينه كلما حدثت ولادات جديدة في المنطقة[٣] . ورغم ذلك حرص الموريسيكيين على الاحتفال بالمولود الجديد احتفالاً إسلامياً تتخللهُ قراءة القرآن الكريم [٤].

أما مراسيم المورسيكيون في دفن موتاهم فقد سعوا جاهدين أنّ تقترب مراسيمهم من الطقوس الدينية المسيحية ، وقبل أنّ تتم دعوة القس يقوم المورسيكيون بممارسة تقاليدهم الإسلامية بغسل الميت بماء عطر مثل : ماء الرند والإكليل وماء الزهر ومن ثم يلبسوه أجمل الملابس وفقاً للتقاليد الإسلامية فيكفنوه بثلاث أقمشة كتانية قميصاً وسراويل نظيفة وستار على الوجه ، وفوق الكل كفن أبيض[٥] ، ثم يقوموا بتحضير القبر وفقاً للتقاليد الإسلامية آنفين الطقوس التنصيرية اعتزازاً بهويتهم الإسلامية وتمجيداً لدينهم[٦] ، لذا فقد كانوا حريصين على دفن موتاهم في مقابر أرض بكر ، وكانوا يطلبون من الحفار ولا سيما إذا كان مورسيكياً أنّ يحفر على عمق كبير لكي لا يتم لف الجثة في أرض غير مقدسة، وقد أحست السلطات الأسبانية بهذهِ الممارسات الأمر الذي كان باعثاً لإصدار قانون سنة ٩٩٧هـ/

---

[١] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٧٥ ؛ بونس ، المخطوطات العجمية ، ص٨٣-٨٤ .

[٢] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٢٥٠ ؛ بونس ، المخطوطات الأعجمية ، ص٨٤ .

[٣] ريناو ، اللغة الأعجمية ، ص٣٤ .

[٤] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٣٧ ؛ هورتز و بنشت ، الموريسكيون ، ص١٠٣ ؛ دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٤ .

[٥] الكامون والسقلي ، التأثير المورسكي ، ص١٦٩ ؛ بونس ، المخطوطات الأعجمية ، ص٨٥ .

[٦] الكامون والسقلي ، التأثير المورسكي ، ص١٦٨ .

١٥٨٧م ، الذي أُلزمَ فيهِ الموريسيكيين بأنّ يدفنوا موتاهم في نفس مقابر النصارى ، وأن يلتزموا بمراسيم الدفن الكنسي [١] .

ومن بين الشعائر الإسلامية التي حافظ الموريسيكيين عليها هو الختان إذ كانت هذهِ الشعيرة متأصلة بين الموريسيكيين ومرتبطة بهم[٢]، وكانت تسمى عندهم بعملية الفضض[٣]. إذ أنَّ جميع الموريسيكيين الذين وقعوا في أيدي محاكم التفتيش كانوا مختونين ، وقد أُشير إلى وجود عائلة بربرية كانت تقوم بهذا العمل وأحد الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام ، وأبلغ عنهُ وحكم عليهِ بالعمل في السفن (الأشغال الشاقة)[٤] .

أما الجلوس على الأرض أثناء أكلهم وجبات الطعام ، وأكل الكُسكسي يُعد تحدياً واضحاً لإجراءات محاكم التفتيش التعسفية في وقت كانت فيه كل هذه الإجراءات جريمة تُعاقب عليها هذه المحاكم بعقوبات شديدة مستندين على أن هذه الإجراءات هي إجراءات من شأنها أن تحافظ على تقاليد الدين الإسلامي وتنبذ الديانة النصرانية[٥] .

أما الدفاع عن النبي مُحَمَّد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم فكان بحد ذاتهِ أمراً تعاقب عليهِ محاكم التفتيش ، فقد ذكر بأنَّ نصرانياً كان قد تجاوز على مقام النبي الأكرم قائلاً : ((أني أحلف باسم الله ، وقد أشار عليهِ صاحبه أنّ يحلف باسم من لايؤمن بهِ)) وقد رد عليهِ النصراني قائلاً : ((أني أحلف باسم مُحَمَّد ...)) واخذ يشتم النبي الأكرم (صلى الله عليهِ وآله وسلم) فسمعهُ أحد الموريسيكيين فسرعان ما استولى على هراوة وهدد الشاتم قائلاً : ((ماذا فعل لك مُحَمَّد ؟ ، الأمر الذي دفع ثمنهُ أمام محاكم التفتيش الأسبانية بعد شكاية الرجل النصراني))[٦].

---

[١] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٣٨ ؛ أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٧٨ .

[٢] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٧٥ .

[٣] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٧٣ ؛ الكامون والسقلي ، التأثير المورسكي ، ص١٦١ .

[٤] هورتز و بنثنت ، الموريسكيون ، ص١٥٢-١٥٣ ؛ الكامون والسقلي ، التأثير المورسكي ، ص١٦١ .

[٥] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٩٠ ؛ أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٩١ . .

[٦] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٢٧ .

وقد حافظ الموريسيكيين على قدسية ومكانة يوم الجمعة بالنسبة لهم ، ففي مثل هذا اليوم كانوا يغتسلون واعتادوا على تغيير ملابسهم حيث يلبسون الجديد منها ، ويكثرون الصدقات أو يصومون ، كما كانوا يؤدون صلاة الجمعة سراً وبشكل جماعي[١] .

وقد حرص الموريسيكيون على بناء الحمامات الإسلامية ، واستمروا في الاغتسال بها لهذا كانت هذهِ الحمامات هدفاً لقانون خاص ودقيق ، وأمرت السلطات الاسبانية بعدم السماح بترميم أبنيتها ، وتنظيم الدخول إليها ، ومنع الموريسيكيين من دخول الحمامات والاغتسال بها في غير أيام الآحاد ، أو أيام الأعياد[٢] .

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ للموريسيكيين أسلوب خاص لمواجهة المد النصراني ، ارتكز أساساً على مبدأ التقية[٣] ، وبخصوص ذلك يقول الشهاب الحجري[٤] : ((كانوا يعبدون دينيين : دين النصارى جهراً ودين المسلمين في خفاء الناس ، وإذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، يحرقون بعضهم)) ، ولعلَّ الصورة الإسلامية كانت حاضرة في فكر الموريسيكيين وعقيدتهم التي لم تضعف رغم فرض التقاليد القسرية عليهم ، إلا أنَّهم كانوا يتعاملون مع النصارى وفق ثوابت لم تزيحها السنون ، مؤكدين على التزامهم بالعادات والتقاليد الإسلامية التي ورثوها جيلاً بعد جيل .

التقية ودورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية .

أثبتت المعطيات والشواهد التاريخية على فشل تحقيق الاندماج ، والتعايش السلمي بين الموريسيكيين والنصارى الأسبان في مجتمع واحد تسوده المحبة والوئام ، لان لكل واحد منهم معتقداتهِ ودينهِ ، لذلك اندلع صراع إسلامي نصراني اكتسى صبغة دينية ، وحاول كل خصم القضاء على الآخر خدمة لمصالحهِ الخاصة[٥] ، فدواوين محاكم التفتيش كانت ترفض كل تسامح وحوار وتوصي بإتباع القسوة

---

[١] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

[٢] هورتز و بنثنت ، الموريسكيون ، ص١١٥ ؛ ريناو ، اللغة الأعجمية ، ص٢١

[٣] التقية : لغة الحذر والخوف أو الكتمان واصطلاحاً ترك فرائض الدين في حالة الإكراه والتهديد بالإيذاء . ينظر : شترومان ، التقية ، ١/ ص٤-٧ .

[٤] ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص١١ .

[٥] براتشينا ، الموريسكوس الاسبان ، ص٢٢ .

القسوة والشدة في معاملة الموريسيكيين ، لذا لم يبق أمامهم إلا اللجوء لمبدأ التقية الذي يُعتبر موقفاً سياسياً واجهوا بهِ الظروف التاريخية الصعبة ، وأخفوا شعائرهم ومعتقداتهم الدينية ودخلوا مع النصارى في مواجهة جدلية [١]، وقد أجاز الإسلام لأتباعهِ المسلمين بعدم أداء واجباتهم الدينية في ظروف قاهرة خوفاً من إلحاق الضرر بهم ، وسمح للمسلم بإنقاذ حياتهِ حتى لو أنَّ الأمر سيدفعهُ إلى التنكر والتنصل من القضية التي يرغب في الدفاع عنها[٢] ، وعن طريق التقية أمتنع المورسيكيون عن ممارسة الكثير من الشعائر الإسلامية علناً ، متظاهرين باعتناق الديانة النصرانية ، محافظين في قرارة أنفسهم ومعين وجدانهم على أركان وتعاليم الدين الإسلامي . وقد فشلت المساعي والمحاولات التي بذلتها السلطات الأسبانية إلى تحويل المورسيكيون إلى رعايا مخلصين للديانة النصرانية ، لذلك أخذت محاكم التفتيش الأسبانية في تضييق الخناق عليهم ، وشرعت في مطاردتهم لأجل الحد من ممارساتهم الإسلامية ، وكان ذلك دافعاً لأن تقوم ثلة منهم بإرسال رسالة إلى الفقيه احمد بن جمعة المغراوي الوهراني، يسألونه في وضعهم الاجتماعي والديني مؤكدين على مواصلة السلطات الأسبانية في عمليات تنصيرهم وإجبارهم على ممارسة الطقوس والشعائر النصرانية ، وقد كان تاريخ هذهِ الرسالة هو غرة رجب سنة ٩١٠هـ / نوفمبر ١٥٠٤م ، فأجابهم قائلاً : ((**الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبهِ وسلم تسليما ، إخواننا القابضين على دينهم ، كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقو في ذاتهِ وصبروا النفوس والأولاد في مرضاتهِ ، ... وارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق ، إنّ بلغة النفوس إلى التراق...**)) ويتضح من خلال هذهِ الرسالة أن الفقيه يدعوهم إلى إتباع التقية لأن الإسلام يسمح لهم بذلك[٣]، وأعطاهم حلولاً لما يمكن أن يتعرضوا له إثناء ممارستهم للعبادة قائلاً : ((وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية ، وأنووا صلاتكم المشروعة وأشيروا لما يشيرون إليهِ من صنم ، ومقصودكم الله ... وإن أجبروكم على شرب الخمر فاشربوه لا بنية استعماله ، وأن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم ... وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم ... وإن أكرهوكم

[١] الميلق ، تأثير ثورات الموريسكيين ، ص٥٦ .

[٢] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٩٠ .

[٣] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٦ .

على كلمة الكفر ، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا ...))[١] ، ويلاحظ أنَّ هذهِ الفتوى لا تطرح فكرة الهجرة عن بلاد الأندلس، بل على العكس من ذلك فقد دعت الموريسيكيين إلى البقاء والتمسك بالدين الإسلامي باطناً والتزام التقية وإعطائهم حلولاً لما يمكن أنَّ يتعرضوا له أثناء ممارستهم لعبادتهم ، وأنها كانت واضحة في مقصدها ، من خلال التصدي لمحاولات التنصير واعتناق النصرانية ظاهراً والتمسك بالدين الإسلامي باطناً . ولعلَّ محتواها كـانَ ذو فـــائدة كبيرة فـــهي تشير إلى مبادئ الإسلام الأساسية، وتؤكد على ضرورة ممارسة الشعائر حتى في بيئة غير إسلامية ، ثم تعرض التطبيق العملي لهذهِ المبادئ ، التي تجيز للمسلم المورسيكي أنّ يتظاهر بالكفر مؤقتاً حتى يتجنب مشاكل تعرض حياتهِ للخطر .

وفيما يتعلق بالصلاة فأنَّ المورسيكي المجبر إلى التحول إلى الكنيسة في نفس الساعة التي وجب عليهِ أداء صلاتهِ الإسلامية ، فأنهُ في هذهِ الحالة يُعفى من أدائها وتحسب عليهِ وكأنهُ أداها تماماً ووجهته نحو مكة ، أما إذا تعذر عليهِ أداء صلاتهِ في النهار فباستطاعتهِ تأديتها في الليل[٢] أما إذا اجبر المورسيكي على أكل لحم الخنزير ، أو شرب الخمر فبإمكانه القيام بذلك ، ولكن بشرط أن يعتبر ذلك فعلاً فاحشاً ويدخر لنفسهِ حين النية ، أما إذا أجبروا على التنكر لعقيدتهم فأنهُ وجب عليهم أنّ يكونوا مراوغين في أجوبتهم ، وإذا ضغط عليهم فأنهُ يجب عليهم في أعماق أنفسهم إنكار ما أجبروا على التصريح بهِ ، وإذا أجبروا على التنكر لدينهم وليس بإمكانكم المراوغة فافعلوا ذلك على أنّ يبقى ضميركم متمسكاً بالعقيدة[٣] . أما التطهر لأداء الشعائر هو الآخر يمكن أنّ يعوض كأن يتم بمسح الجسم بمادة نظيفة تراباً أو خشباً ، أو الغوص بماء البحر[٤] .

ويبدو أنَّ هذهِ الفتوى جاءت مفتاحاً لحل كثير من المشاكل التي واجهها المورسيكيون ، إذ من خلالها تمكن المورسيكيون من ممارسة الشعائر الإسلامية سراً وأن يتظاهروا بإتباع النصرانية تجنباً من

---

[١] لونغاس، حياة الموريسكيين ، ص٢٧٥-٢٧٦؛ أرينال ، المورسيكيون الأندلسيون ، ص٤٩-٥٠ ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٦-٣٢٧ . يذكر عنان إنَّ تاريخ هذهِ الفتوى هو عام ١٥٠٤م ، أما المؤرخ لونغاس فيذكر أن تاريخ الفتوى هو عام ١٥٦٣م ، ويبدو أن لونغاس قد أخطأ في تحديد هذا التاريخ .

[٢] أرينال ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٤٩ ؛ برهان ، صورة الأندلسيين ،ص١١٧ .

[٣] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٩٢ .

[٤] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٩٣ .

ملاحقة خطر محاكم التفتيش الأسبانية ، كذلك خلصت المورسيكيون من حرجاً كبير كان يواجههم [١]، فعندما كانوا يجبرون على سب النبي الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، فأنهم وجب عليهم في هذهِ الحالة تسميته بحمد (*Hamed*) ، شانهم شان النصارى ، مع عدم الإقرار بأنهُ مبعوث من قبل الله وربطه بشخصية الشيطان أو حمد اليهودي[٢] .

[١] نخبة من المتخصصين ، دراسات أندلسية ، ص١١١ .

[٢] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٧ .

المبحث الثاني

الموريسكيون وأركان الإسلام

لم يكن التمسك بالدين الإسلامي أمراً هيناً فقد كانت تحيط بهِ مخاطر جمة مصدرها محاكم التفتيش الاسبانية ومع ذلك أرتبط الموريسكيون بالإسلام ارتباطاً وثيقاً [١]، وحاولوا الالتزام بفرائضهِ كافة محاولين إثبات الذات المسلمة ، والعمل على مخالفة المؤثرات التي تواجههم من عصر وجنس ودين ، والصمود بوجه حملات التنصير الاسبانية ، إذ أنهم بصمودهم حددوا سمات حياتهم الدينية مكونين مجتمعا دينياً خاصاً بهم يواجه سطوة الأسبان ومحاولاتهم التنصيرية ، ليتحول هذا الصمود إلى أداة تمكنوا خلالها من حفظ الإسلام في وجدانهم الخفي ، ولجئوا إلى الكتمان والسرية في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وانتقل ذلك جيلاً بعد جيل ، رغم تعرضهم إلى أشد المحن والمصائب من قبل محاكم التفتيش الاسبانية ، رافضين الانسجام مع تعاليم الديانة النصرانية ، ومتمسكين بالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم نبياً .

وقد قُدر للدين الإسلامي أن يستمر في نفوس الموريسكيون وبشكل منضبط ، متخذين من تخادع تصورات التنصير وسيلة للاحتفاظ بهويتهم الإسلامية[٢] ، لذا فقد شكلوا تنظيماً سرياً مكون من مجاميع أطلق على الواحد منها (الجماعة)[٣] ، لها فقيه يقوم مقام الإمام والمعلم والقاضي بين جماعتهِ ، ويكونّ هؤلاء الفقهاء في كثير من الأحيان زعماء الجماعة الإسلامية ، كان لهم دور كبير في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي ولا سيما ما يتعلق بمراسيم الزواج على الطريقة الإسلامية ، أو حفظ الكثير من المخطوطات النادرة والتي كُتبت باللغة العربية أو بلغة الالخيميادو ونشرها بين أوساط الموريسيكيين ، ناهيك عن قيامهم بنشاطات سياسية كبيرة [٤].

---

[١] Bejarano Praxis islámica de los musulmanes , p39 .

[٢] برهان ، صورة الأندلسيين ، ص١١٨ .

[٣] الجماعة : تنظيمات موريسكية سرية كانت تقوم بربط الاتصال بين الموريسكيين بعضهم ببعض من جهة ، وبينهم وبين الأتراك العثمانيين من جهة أخرى ، وكانت تضم أعيان الموريسكيين ، وأغنيائهم أي من الذين كانت لهم الوسائل المادية والمعنوية لتنفيذ مخططاتهم ، كما كانت تتكون من المثقفين الذين يستطيعون ضمان استمرارية المجتمع الموريسكي ، وقد كانت هذهِ التنظيمات تحث باستمرار الموريسكيين على الحفاظ على دينهم والابتعاد عن كل ما من شانهِ أنَّ يشوش على عقيدتهم . ينظر : رزوق المسلمون في اسبانيا ، ص١٨٠ .

[٤] الحجري ، ناصر الدين ، ص١٨ ، ص١٧٣ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ٢٢٤٩ .

وقد حافظ المورسيكيون على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وأركانهِ الخمسة من خلال إيمانهم بالله تعالى والاعتقاد بهِ واليقين بأنهُ خالق كل شيء ، أرسل نبيهُ الكريم مُحَمَّد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، وأنزل عليهِ القرآن الذي أعتبر دستوراً للمسلمين ، وعن طريقهِ أصلح الشرائع السابقة ، وهدى الناس إلى طريق الخير وجعلهم يقرون بمبدأ الحساب ويعملون بهِ ، وأخذ الصالحون يؤمنون بأن الله خالقهم و مُحَمَّد نبيهم والقرآن كتابهم ، وان الله باقٍ ، وكل المخلوقات تسير إلى الفناء بعد الإيمان باليوم الآخر ، وقد آمن المورسيكيون بتلك التعاليم واعتبروها دستوراً في حياتهم الدينية ، معلنين تمسكهم سراً بالإسلام[١] .

١– الشهادة .

نطقَ المورسيكيون الشهادة بلسان عربي فصيح ، مرددين أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّد رسول الله ، وقد جهرَ المورسيكيون بشهادتهم وخاطروا بحياتهم للتصريح بها أمام محاكم التفتيش الأسبانية ، ورددوها ، وهم مربوطون على منصة الإحراق [٢] .

٢– الصلاة .

حافظ المورسيكيون على العادات والتقاليد الإسلامية المنسجمة مع وضعيتهم ولا سيما فيما يتعلق بالوضوء، والصلاة وإذا كان الوضوء أمراً صعباً فان أداء الصلاة على العكس من ذلك قاراً ، فقد ظل الموريسيكيين محافظون على أداء هذه الشعيرة المهمة في حياتهم اليومية [٣]، إذ كانت كُتيبات الصلاة تتداولها الأيدي بكثرة طوال القرن السادس عشر[٤] .

وقد تحايل المورسيكيون على النصارى الأسبان من أجل الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية ، ومنها التحايل اللغوي إذ ((إنهم كانوا يجبرون على صلاة النصارى باللغة الأسبانية ، فكان فيهم من لا يريد تعلمها يمكن له أنّ يعتذر بأنهُ لا يعرف الأسبانية ، حتى لا يُصلي صلاة النصارى التي لا تجوز بلغة غير اللغة الأسبانية))[٥] .

مارس المورسيكيون الصلاة بأماكن مختلفة وكانوا يقومون فيها في إطار عائلي، أو جماعي تحت أمرة أمام يختارونه لهذا الغرض، وكانوا متمسكين بها إلى أقصى حد ممكن حتى مارسوها وهم في السجون

---

[١] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٥٥ ومابعدها .

[٢] هارفي ، الموريسكون ، ص١٤٦ .

[٣] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧١ .

[٤] كارديك ، الحياة الدينية ، ص١٣٠ .

[٥] حتاملة ، محنة الموريسكوس ، ص١٣٠ .

تحت وطأة التعذيب، وكذلك وهم ذاهبون إلى منصة الإحراق[١]، كما كانوا يتجهون إلى مساجد سرية لصلاة الجمعة كلما سنحت لهم الفرصة ، أو يصلونها جماعة في بيوتهم[٢] .

وقد بذلت المرأة المورسيكية دوراً كبيراً في تعليم أبنائها الصلاة ، وفي أماكن خاصة من المنزل كأن تكون في سراديب مخصصة لذلك ، تجنباً لخطر محاكم التفتيش ، لكن مع كل هذا فالمراقبة كانت مكثفة ، وقد قُدمت شكوى ضد ماريا دي هوكاهار سنة ١٥٧٧م ، لأنها كانت تعلم أولادها الصلاة ، وتزرع في قلوبهم حب الإسلام والتمسك بتعاليمهِ [٣] .

ولم يقتصر دور المرأة المورسيكية على تعليم الصلاة فقط فقد سجلت محاكم التفتيش الاسبانية تهم موجهة لنساء مورسيكيات كُنَّ يعملنَّ على نشر الدين الإسلامي فهذهِ أنخيلا هرناندث التي كانت تبلغ من العمر ٧٠ سنة ، اتُّهمت لأنها كانت تعلم وتنشر الدين الإسلامي وبيتها كانَ بمثابة المسجد يتم فيهِ تداول القضايا الإسلامية[٤] .

٣- الصوم .

أما صيام شهر رمضان فقد كان سمة مميزة لهوية المورسيكيون الإسلامية إذ تمسك المورسيكيون بصيام هذا الشهر الفضيل، وكانوا يلتزمون بهِ وبأحكامهِ ، ينتظرونه بترقب شديد، ويفرحون بقدومهِ فرحاً كبيراً حتى كثير ما تسبب هذا الشهر بمحاكمة عدد كبير منهم فقد كان هذا الشهر بلا أدنى شك هو شهر العبادة الإسلامية الأكثر ارتباطاً بحياة الموريسيكيين[٥]، إضافة إلى كونه شعيرة إسلامية مهمة إلا أنَّهُ تحول إلى ملمح للتمييز الثقافي ، ويصبغ الشخص الذي يحافظ عليهِ بصبغة خاصة ، وعلى الرغم من وضع الموريسيكيين وظرفهم الصعب، ورغم الاتهامات التي كانت تطال الكثير منهم بسبب الصيام إلا أنهم لم يقتصروا على صيام شهر رمضان فقط بل كانوا يتعدون ذلك إلى صيام أيام أُخر من السنة موقنين بأنَّ ذلك دليل على قوة الإيمان وحافزاً على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، وسبب في الفوز بعظيم الجزاء وعظيم الغفران[٦].

---

[١] الحسيني ، المورسيكيون والعالم الإسلامي ، ص ١٢٥ .

[٢] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

[٣] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٥ .

[٤] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص١٧٥ .

[٥] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[٦] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

واصل المورسيكيون اهتمامهم وتقديسهم إلى بعض المناسبات الدينية ، إرضاءً لله سبحانه وتعالى ، وإتباع سنة النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، وتأكيد هويتهم الإسلامية متمثلاً في صيام ليلة النصف من شعبان حيث يلبسون الجديد من ثيابهم ويعطرون ملابسهم ودورهم وقد عُثر على نص مورسيكي يؤكد أهمية هذه الليلة عند المورسيكيون جاء فيه: " عباد الله إن ليلة النصف من شعبان لها شأن عظيم وقدر كبير ففيها يرفع الله إليه الأعمال ويكتب الآجال والأرزاق ويتجلى الله فيها على عباده وينزل عليهم نعمته ويتكرم عليهم بالعتق من نار جهنم"[١] .

وقد منح فقهاء المورسيكيون تسهيلات كثيرة على فريضة الصيام، نظراً للتعايش بين المورسيكيون والنصارى في مجتمع واحد ويمارسون مهنة النقل ، فإذا أضطر المورسيكي مصاحبة النصراني في الطريق لمسافة ١٦ فرسخاً التي لا تبرر الفطر ، وحل وقت الغداء فليعتذر المورسيكي عن الأكل بكلمات رقيقة ، وإذا لم يتمكن من ذلك فليأكل حتى لا يتعرض لخطر الشكوى ، لكن بمقدار قليل جداً لا أنّ يبالغ في الأكل والشرب ، وعليهِ أنّ لا يعود إلى الأكل والشرب في ذلك اليوم ، إلا إذا ضايقهُ النصراني حتى لا يعلم أنَّهُ يؤدي فريضة الصيام ليكمل يومه وليقض ما فاتهُ عندما يتمكن ، وحتى لو كثرت الأيام التي يسافر فيها أو يصحب فيها النصراني فليفعل ذلك وعليهِ إلا يقوم أو ينام إلا وهو ينوي صيام ذلك اليوم ، فقد يتمكن التخلص من دعوة النصراني ، وإذا بالغ المورسيكي في الأكل ، أو أكل كثيراً بحجة أنّ صومه فسد فعليهِ الكفارة والمتمثلة بصيام شهرين أو تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكيناً، والذي يأكل خوفاً يمكنه أنّ يأكل ، ولكن عليهِ إلا يفعل ذلك إلا تلبية للدعوة ، وحتى يحافظ على نفسهِ ، وإذا أكل ما يزيد عن ذلك بحجة أنّ صومه فسد فعليهِ الكفارة ، وإذا مات أحد الموريسيكيين خلال شهر رمضان وأنّ يكون هذا المورسيكي قد أفطر أياماً لمرضهِ ، فقد أفتى الفقهاء بضرورة أنّ يقوم أقرب الورثة بصوم الأيام التي فاتت المتوفى ، أو أنّ يتصدق عن كل يوم أفطره المتوفى ٤ــ١١ مكيالاً من القمح[٢] .

ولم يقتصر المورسيكيون على صيام شهر رمضان فقط بل ، أعتاد المتدينين منهم على صيام ستة أيام بعد عيد الفطر وكانوا يسمونها الأيام البيض ، وكانوا يعتقدون أنَّ صيام هذهِ الأيام توجب لهم جزاء يعادل أو يفوق جزاء صيامهم شهر رمضان ، وبعدها كانوا يلبسون أفضل ثيابهم ويعطون الصدقات

[١] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية للمورسيكيين ، ص١٥١-١٦٨ .

[٢] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٠٧ .

لفقرائهم[١] ولم تكن ظاهرة الاعتكاف بعيدة عن فكر الموريسيكيين الديني فقد اعتاد الموريسيكيين على صيام تسعة أيام بلياليها يخصصها المورسيكي للعبادة والصلاة الصيام فيظل في المسجد دون أنّ يغادره ، إلا لأحد الإغراض الثلاثة : لقضاء حاجة أو لتجديد طهارة أو لشراء الطعام إذا لم يوجد ما يوفره إليهِ ، ولم ينفرد الرجل المورسيكي بهذهِ الحالة بل كان للمرأة المورسيكية نصيباً وافراً منها [٢] ، كذلك فقد أحيا المورسيكيون صيام يوم عرفه من ذي الحجة حيث كان يعلمون تماماً مكانة هذا اليوم عند المسلمين وثواب صومه عند الله تبارك وتعالى وكان المتدينين منهم يصومون ثلاثة أيام من كل أسبوع وعلى طوال السنة ، وكان من الشائع أيضاً بين الموريسيكيين صيام ثلاثة أيام خميس من شهر شعبان كتطوع قربة إلى الله[٣] ، وكذلك دأب المورسيكيون على صيام العاشر من محرم واعتبروه يوم مبارك ومن يصومه يصل إلى منزلة الشهداء[٤] ، وهناك صيام عُرف بهِ الموريسيكيين يدعى بصيام العقوبة أو صيام الصابرين ، ويمتنع به المورسيكي عن الأكل والشرب ثلاثة أيام بلياليها ، وكان هذا الصيام يفرض كعقوبة على جرائم فضيعة قد يرتكبها المورسيكي ، إذ أنّ المعاقب إذا عاش بعد هذهِ الأيام الثلاثة يكون ذنبهِ قد غُفر، إما إذا مات أثناء أيام الصيام فهو يذهب إلى جهنم لأنهُ لم يتطهر من ذنبهِ ولم يُغفر له[٥] .

٤– الزكاة .

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام ، فرضها الله على المسلم وفقاً لما يملك من أملاك سواء عملات من الذهب أو حلي أو ماشية أو ثمار ، والذي لا يملك أجاز فقهاء المورسيكيون الاكتفاء بقول سبحان الله والحمد لله لا إله إلا الله والله أكبر ، ومن يتلو ذلك يحصل على ثواب عظيم عند الله ، ولم يكتف المورسيكيون بدفع صدقة الزكاة الواجبة بل قاموا بدفع صدقة تطوعية تُعطى للفقراء رحمة بهم دون أي شرط يفرضهُ الشرع[٦] .

دفع المورسكيين أموال الزكاة كصدقة عن أموالهم أو عملاتهم الذهبية والفضية وعن مجوهراتهم وحليهم ومواشيهم وأبلهم وأبقارهم وثمارهم وعن ما يمتلكونه من محاصيل الحبوب ، وكذلك دفعوا زكاة

---

[١] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٧ .

[٢] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١٠ .

[٣] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١١ .

[٤] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٧ .

[٥] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١١ .

[٦] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١٧–٢١٨ .

عيد الفطر التي يدفعها المسلم الموريسكي حراً كان أم عبداً ، رجلاً أم امرأة عند انتهاء شهر رمضان ، فضلاً عن قيام بعضهم بدفع الصدقة التطوعية من باب الورع والتقوى[١] .

وقد عمل الموريسكيون ولا سيما في المناطق التي كانوا يتمتعون فيها بنوع من الاستقلال ، على دفع أموال الزكاة إلى الفقهاء أو رجال الدين المعروفين بتقواهم وتدينهم الشديد ، ليقوموا بتوزيعها على الفقراء ، ولم يكن ذلك حالة أو قاعدة عامة في هذا الشأن[٢] ، ولعلَّهم كانوا مجبرين على دفع أموال الزكاة إلى السلطات الأسبانية ، إذ أنَّهُ في كثير من الأحيان كانت أماكن تجمعات الموريسيكيين توقع معاهدات خاصة مع الملك أو مع السادة الذي يتبعهم الموريسكيون وغالباً ما تخضع هذهِ المعاهدات لتعديلات مستمرة ، ويتم الاتفاق على صرف أموال الزكاة في أمرين هما:-

١- مصروفات الملك وحاشيته أو لصالح القادة أو رجال الدين النصارى ومصروفات إلى الفقهاء والمؤذنين وبناء المساجد أو لحفر الآبار ، أو بناء المدارس أو كرواتب للمدرسين الذين يعملون فيها .

٢- الأموال المخصصة للفقراء ويتم توزيعها على فقراء الموريسيكيين المحتاجين الذين يُعرف عنهم أنهم يواظبون على أداء صلواتهم اليومية ، ولم تسلم إلى فقراء اليهود وفقراء النصارى ، ولا يدفع الموريسكي أموال الزكاة إلى الأب أو الأم أو الزوجة أو الأبناء[٣] .

٥- الحج .

الحج هو ركن من أركان الإسلام ، فرضهُ الله تعالى على كل مسلم ومسلمة قادراً على القيام بهِ ، وقد وقفت السلطات الاسبانية موقفاً متعصباً مع من يمارس هذهِ الفريضة المهمة ، وعملت على تقييد الموريسيكيين والوقوف بالضد من ممارستهِ الأمر الذي ذكره كارديناك[٤] بالقول : ((أما القيام بالحج فذكره موجود في شهادة نادرة ، جاءت بعنوان مقاطع شعرية وصف بها الحج في أواخر القرن السادس عشر ، يذكر فيهِ صاحبهِ مصاعب السفر ، وقد كانت كثيرة إلى حد أنَّ الموريسيكيين الذين استطاعوا أنَّ يقوموا بهِ كانوا قلة قليلة)) ، ورغم ذلك فقد ذهب بعض الموريسيكيين لأداء فريضة الحج غير مكترثين لإجراءات محاكم التفتيش الاسبانية ، الأمر الذي خصهُ الكتاني[٥] بالقول : ((أنَّهُ لم يذهب من

---

[١] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٢٠-٢٢٩ .

[٢] هارفي ، الموريسكون، ص٣٤٢ ؛ الباهلي ، الحياة الاجتماعية ، ص٤١ .

[٣] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١٩ .

[٤] حياة الموريسكيين الدينية ، ص١٣١ .

[٥] انبعاث الإسلام ، ص٢٥٠ .

المورسيكيون إلا بعض المحظوظين الذين تمكنوا من حج بيت الله الحرام وتمكنوا من الرجوع إلى بلادهم)) . ويبدو أنَّ المصادر والمراجع لم تزودنا بمعلومات كافية عن أداء الموريسيكيين للحج ، ولعلَّ ذلك يعود لبعد المسافة بين الأندلس ومكة المكرمة ، والإجراءات التعسفية والقمعية التي كانت تمارسها السلطات الإسبانية ضد تطبيق الموريسيكيين للشعائر الدينية حالت دون قيام الموريسيكيين بأداء هذهِ الفريضة المهمة بشكل كبير ، واقتصرت على ممارسات فردية من قبل بعضهم .

الخاتمة .

توصلت الدراسة إلى بعض النتائج المهمة والتي يمكن حصرها بما يلي :-

١- أبتدع المورسيكيون لغة (الألخميادو) خاصة بهم دونوا بها معاملاتهم اليومية وتفاصيل حياتهم الدينية.

٢- تُعتبر مخطوطات الألخميادو ووثائق محاكم التفتيش الأسبانية مصدراً مهماً من مصادر دراسة تاريخ الموريسيكيين الديني والسياسي .

٣- إلى زمن غير بعيد عُدت مخطوطات الألخميادو ومحاضر محاكم التفتيش الأسبانية ، وثائق هامة لم تكشف عنها الحكومة الأسبانية ، وعُدت حكراً للباحثين الأسبان والفرنسيين فقط .

٤- فشل السياسية الاسبانية ، والكنيسة الكاثوليكية، في تنصير الموريسيكيين وتحويلهم إلى رعايا مخلصين للديانة الكاثوليكية ، مما أدى إلى فشل الاندماج بين الموريسيكيين والنصارى والعيش في مجتمع واحد تسوده المحبة والوئام .

٥- حينما بدأت السلطات الاسبانية بتضييق الخناق على الموريسيكيين ، وأخذت تهدد الدين الإسلامي فضلَ البعض الاحتفاظ بهويتهِ الإسلامية ، ورفض النصرانية علناً وقرر الرحيل عن اسبانيا والانتقال إلى بلاد المغرب الإسلامي .

٦- لبث الموريسيكيين بالرغم من تظاهرهم بالتنصير ، مخلصين في سرائرهم لدينهم الإسلامي الحنيف ، ولم يتركوا تعاليم الدين الإسلامي رغم الاضطهاد الكبير الذي مارسته السلطات الاسبانية ضد الموريسيكيين .

٧- واصل الموريسيكيين الاحتفاظ بتقاليدهم الإسلامية ، وممارسة شعائرهم الدينية بشكل سري مُتحدين كل الوسائل وممارسات الضغط والاضطهاد التي مارستها السلطات الاسبانية ولا سيما محاكم التفتيش الاسبانية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر .

الحجري ، احمد بن قاسم (ت بعد ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)

ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق وتقديم وترجمة شورد فان كوننكزفلد و قاسم السامرائي وخيرارد فيخرز ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي ، د.ت .

الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .

الحميري ، مُحَمَّد بن عبد المنعم ، (ت حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) .

الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

مجهول ، مؤلف (كان حياً في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) .

نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، ط١ ، تحقيق مُحَمَّد رضوان الداية ، دمشق ، ١٩٨٤ .

الونشريسي ، أبو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٣٤م)

المعيار المعرب والجامع المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،د.ت .

قائمة المراجع العربية .

بشتاوي ، عادل سعيد .

الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال برس ، القاهرة ، ١٩٨٣.

حتاملة ، مُحَمَّد عبدة .

التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ١٤٧٤م _١٦١٦م ، عمان ، شركة المطابع النموذجية ، ١٩٨٤ .

_____ ، محنة الموريسكوس الأخيرة في اسبانيا ودورهم خارجها ، ط١ ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٧

حمودة ، علي .

تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

طه ، عبد الواحد ذنون .

حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ٢٠٠٤ .

رائف ، أحمد .

وتذكروا من الأندلس الإبادة . ط٢ . القاهرة ، دار الزهراء للأعلام العربي ، ١٩٩١م .

رزوق ، مُحَمَّد .

المسلمون في اسبانيا خلال القرن السادس عشر ، مجلة البحوث التاريخية مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، العدد الثاني ، طرابلس ، ١٩٩٢ .

السامرائي وآخرون .

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط١ ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي ، بيروت ، ٢٠١٤ .

سراج الدين ، إسماعيل .

التراث الموريسكي المخطوط (بحوث مترجمة عن الأسبانية) ، ترجمة وتعليق مُحَمَّد مُحَمَّد عبد السميع ، مكتبة الأسكندرية ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

العبادي ، أحمد مختار .

المجمل في تاريخ الأندلس ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

عبد الكريم ، جمال .

الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، د.ت .

عنان ، مُحَمَّد عبد الله .

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط٢ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٨ .

قشتيليو ، مُحَمَّد .

الموريسكيون في الأندلس وخارجها ، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، سلسلة المعرفة الأندلسية ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، ٢٠٠٨ .

الكامون ، أحمد و السقلي ، هاشم .

التاثير المورسكي في المغرب ،ط١ ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية وجدة ، المغرب ، ٢٠١٠ .

الكتاني ، علي المنتصر .

انبعاث الإسلام في الأندلس ، ط١، مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة ا؟؟لإسلامية العالمية ، إسلام آباد ، باكستان ، ١٩٩٢ .

كحيلة ، عبادة .

العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، الكويت ، دار الكتاب الحديث ، ١٩٩٦ .

نخبة من المتخصصين .

دراسات اندلسية وموريسكية ،ط١ ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،٢٠٠٨

ندا ، طه .

فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ .

الكتب الأجنبية المترجمة .

أرينال ، مرثيدس غارثيا

محاكم التفتيش والموريسكيون (محاضر محكمة كونيكا) ، ط١ ، ترجمة خالد عباس مراجعة جمال عبد الرحمن ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

براتشيا ، دون باسكوال بورنات

الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم ، ترجمة كنزة الغالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٢ .

شترومان .

التقية ، دائرة المعارف الإسلامية ، تحرير زكي خورشيد وآخرون ، القاهرة ، دار الشعب ، د.ت .

كارديك ، لوي .

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا ، تعريب عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، ١٩٨٩ .

لونغاس ، بدرو .

حياة الموريسيكيين الدينية ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠ .

هورتز ، أنطونيو دومنقير و بنشت ، برنارد .

الموريسكيون حياة ومأساة أقلية تاريخ مسلمي الأندلس ١٤٩٢-١٦١٣م ، ترجمة عبد العال صالح طه ، تعليق مُحَّد محي الدين الأصفر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨ .

الأطاريح والرسائل والبحوث .

بن جميع ، نجيب

الخط العربي كتعبير لمز مقدس في النصوص الألخميادو المورسيكية ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات المورسيكية الأندلسية حول تطبيق الموريسيكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية ١٤٩٢-١٦٠٩م ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات ، تونس، ١٩٩١ .

برهان ، صفار عبد الله .

صورة الأندلسيين الموريسكيين تحت الاحتلال الأسباني ١٤٩٢-١٦١٤م ، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية ، العدد ٤٥ ، د.ت .

بونس ، لويس برنابيه

المخطوطات الأعجمية كنصوصٍ إسلامية ، ، بحث منشور ضمن كتاب التراث المورسيكي المخطوط ، ترجمة وتعليق مُحَمَّد مُحَمَّد عبد السميع ، الاسكندرية ، مصر ٢٠١٥ .

الحايك ، سيمون .

الدراسات الموريسكية في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة في اسبانيا ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية الأندلسية حول وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي ، زغوان ، ١٩٩٥ .

الحسيني ، قاسم عبد

المورسيكيون والعالم الإسلامي من سقوط غرناطة حتى نهاية محاكم التفتيش الأسبانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات والحضارة الإسلامية ، الجامعة الوطنية الماليزية ، ٢٠١٠ .

دونثال ، خوان أرندا .

تطبيق الموريسيكيين للشعائر الإسلامية من خلال محاكم تفتيش قرطبة ، ترجمة رضا ميامي ، بحث منشور في إعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسيكية الأندلسية حول تطبيق الموريسيكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية ١٤٩٢-١٦٠٩م ، تحت إشراف عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، ١٩٩١ .

ريناو ، مار غوميث .

اللغة الأعجمية وآدابها بديل إسلامي للإسبانية ، بحث منشور ضمن كتاب التراث المورسيكي المخطوط ، ترجمة وتعليق مُحَمَّد مُحَمَّد عبد السميع ، الاسكندرية ، مصر ٢٠١٥ .

عبد اللطيف ، سري مُحَمَّد .

الهوية الإسلامية للمورسيكيين من خلال الأدب الألخميادو ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالي الخامس للدراسات المورسيكية الأندلسية حول الذكرى الخمسمائة سنة لسقوط غرناطة ١٤٩٢م_١٩٩٢م ، ج٢، تحت أشراف عبد الجليل التميمي ، زغوان : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات ، تونس، ١٩٩٣.

الشمري ، يوسف كاظم جغيل والمعموري ، مُحَمَّد عبد الله .

الموريسيكيون في بلنسية (دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٥٢٥-١٦٠٩م) بحث منشور في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، د.ت .

عبد الكافي ، مفتاح علي عثمان .

المورسيكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والتربية ، جامعة التحدي ، ليبيا ، ٢٠٠٦ .

فارين ، جاكلين فورنال .

الصيدلية المورسيكية وممارسة الطب لدى المجموعة المورسيكية بمنطقة أرغون ، ترجمه من اللغة الأسبانية إلى اللغة العربية عبد الجليل التميمي ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد١٥و١٦ ، ١٩٧٩

الميلق ، عبد القادر .

تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الأسبانية ٨٩٧-١٠١٧هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٩م ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والأجتماعية ، جامعة غرداية ، ٢٠١٣ .

هارفي ، بانريك .

الموريسكيون وأركان الإسلام الخمسة ، ترجمة نجيب بن جميع ، بحث منشور في المؤتمر العالمي للدراسات الموريسيكية حول تطبيق الموريسيكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية ١٤٩٢-١٦٠٩م ، تحت إشراف عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، ١٩٩١ .

هلايلي ، حنيفي .

الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين ١٦-١٧م ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، ١٩٩٩ .

هويدي ، فهمي .

في بلاد الموريسك غرباء الأندلس ، مجلة العربي ، العدد ١٨ ، ١٩٧٧ .

المراجع الأجنبية .

Bejarano, Bárbara Ruiz

Praxis islámica de los musulmanes aragoneses a partir del corpus aljamiadomorisco y su confrontación con otras fuentes contemporáneas . universitat d Alacant , 2015